سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

الغثاء والبناء

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

الحمد لله الذي قال في محكم كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[الفتح]، له الثناء كله وله الحمد كله علىٰ هٰذا الوعد الصادق وعلىٰ هٰذه البشارة العظيمة التي هي أن هٰذا الدين غالب جميع الأديان وأنّ أهله مرفوعون علىٰ غيرهم، والشاهد بذلك ربنا جل وعلا وكفىٰ بالله شهيدا.

هٰذه المحاضرة اختير لها هٰذا العنوان وهو:

الغثاء والبناء

وإذا ذُكر البناء في أي ميدان من ميادين الحياة، فإنه لابد وأن يكون بذلك البناء من عوائق تعوقه أو من أشياء لا تصلح له ولا تناسبه، في أمور الدنيا ظاهر هٰذا، وكذلك ما يتعلق هٰذا بنشر الإسلام والسنة والدعوة إلىٰ الخير والصلاح وتعظيم الناس لربهم جل وعلا، لابد بذلك الطريق من دعوة وإصلاح وبناء، ولابد وأن يوجد شيء من الغثاء، ونعني بالغثاء ما يدلّ عليه معناها اللغوي ألا وهو المذكور في نحو قول الله جل وعلا: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾[المؤمنون:٤١]، وفي نحو قوله: ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾[الأعلىٰ]، والغثاء هو الزّبد الذي يطفو علىٰ السيل من أشياء متكسرة من ورق الأشجار وأشياء متفرقة وصهيل وصوت وزبد ورُغوة، ولكنها إذا جُمعت لا تنفع، وتحت [الرَّوبة] اللبن الصريح.

قال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[الرَّعد:١٧].

لكن الشأن هو كيف يتعامل الخاصة فضلا عن العامة مع هٰذه المتغيرات؟ ومع هٰذه الأحداث الكثيرة المتوالية، التي كثيرًا ما عمرت بها مجالس الخاصة والشباب والدعاة بله طلبة العلم والعلماء؟

إما أن يُتعامل معها بنظر صحيح فتكون مثمرة الخير، ويُتجنب مع ذلك النظر الصحيح أثر ذلك الغثاء.

وإما أن ينظر المرء إلىٰ هٰذه المسيرة وكأنه لا شيء يرىٰ إلا ذلك الغثاء، وأما السيل، وأما الماء الذي ينفع فإنه لا يكاد يُرىٰ عند البعض.

لهٰذا ينبغي أن ننظر في ما يجب وما ينبغي في هٰذه المسألة العظيمة، وهي التي تداولتها مجالس كثيرة بكلام منضبط تارة وغير منضبط أخرىٰ، جاشت فيها عواطف وتكلم فيها أناس بتعصب وتكلّم فيها آخرون بغير علم، وتكلم فيها فئة قليلة بعلم وهدىٰ، وهم الناجون فيما أحسب لأن المرء مؤاخذ بما يقول، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ حين سأله: يا رسول الله أو إنا مؤاخذون بما نقول؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**».

وقد قال جل وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[النِّساء]، قال بعض أهل العلم: الأمر بالشيء داخل في فعله؛ بل هو من الفعل، فإنه إذا أمر بالصدقة فقد فعل لقوله جل وعلا: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

هٰذه المحاضرة نتناول فيها بعض ما ينبغي أن يؤكَّد عليه، وإن كان كثير مما سيأتي قد سُمع؛ لكن نحتاج إلىٰ ضبط هٰذه المسألة، لأننا نرىٰ هٰذا الزمن زمنا عجيبا من جهة أن الفساد فيه قد كثر في بلاد المسلمين، وأخذ بالكثرة والازدياد والظهور في هٰذه البلاد التي هي البقية الباقية.

ظهر الفساد بأنواع كثيرة في حياة الناس الشخصية، وفي حياة المؤسسات، وفي قطاعات كثيرة من جهة فساد عقدي، ومن جهة فساد في السلوك والأخلاق، ومن جهة فساد في المال واقتصاد، ومن جهة فساد آخر، وهو خطير يبلغ تلك الأمور في خطورته؛ بل ربما زاد وهو أن تُقلب المفاهيم وأن تقلب الأصول الشرعية فيصبح المعروف منكرا ويصير المنكر معروفا؛ بل قد يبلغ إلىٰ أن المرء لا يعرف المعروف ولا المنكر إلا ما سمعه وأدرك فئته عليه.

أنواع من المتناقضات، أنواع من البعد عن الإسلام الصحيح في مجالات شتىٰ، فمن المصلح لهٰذه؟ من الذي يجب وينبغي عليه أن يتولّىٰ هٰذا الأمر، ألا وهو أمر الإصلاح، ألا وهو أمر هداية الناس، ألا وهو المحافظة علىٰ إسلام هٰذه الأمة، وعلىٰ إسلام الناس وعلىٰ أخلاقهم وأعراضهم وتصرفاتهم، وأن تكون جميعا علىٰ وفق الشريعة، من المخاطب بذلك؟ لاشك أن هٰذا الواقع المؤلم الذي نصوّره ببعض ما فيه، لاشك أن هٰذا الواقع المؤلم علاجه يجب أن ننهض به جميعا.

وعلاجه تارة يكون من جهة الفرد في نفسه، وتارة يكون من جهة الفرد في أسرته، وتارة يكون من جهة الفرد مع زملائه وأصدقائه وجماعته، وتارة يكون علاجه من جهة أهل العلم، وتارة يكون علاجه من جهة ولاة الأمر، وهكذا في أنواع شتىٰ.

وإذا نظرت إلىٰ حال كثيرين وجدت أن اليأس دبّ في قلوبهم، وهٰذا اليأس الذي دب في قلوب كثيرين سببه إرجاف الشيطان؛ لأنهم ما نظروا في سنن الله جل وعلا وما جرىٰ لأنبيائه، هٰذا نوح عليه السلام كم مكث في قومه؟ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾[العنكبوت:١٤]، وقال جل وعلا عنه: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾[هود]، ترىٰ العجب ولا تقضيه، لا تنقضي من العجب أن ترىٰ الأنبياء الذين أيّدوا بالبراهين والآيات الدالة علىٰ كفرهم الدالة علىٰ صدقهم المؤيدون من الله جل وعلا ترىٰ أنهم حوربوا، ترىٰ أنهم أوذوا، ترىٰ أنهم لم يقبل ما جاؤوا به، فكيف الحال، إذن بمن هم دونهم بل بمن ليسوا بمعجزين بما أيدوا به.

لهٰذا نقول: طريق الإصلاح وطريق الدعوة يجب أن لا ينظر فيه إلىٰ ما يحصل من بعد الناس عن الحق، بل من أنواع الفساد؛ بل يجب أن ينظر فيه إلىٰ عملنا؛ ماذا يجب علينا أن نعمل؟ وماذا يجب علينا

أن نتحرك به؟ لأننا إذا نظرنا إلىٰ حال الناس أو إلىٰ العوائق الموجودة أو إلىٰ البعد عن الحق والهدىٰ، ونظرنا ثم نظرنا ثم نظرنا فقد يعظم ذلك في النفس حتىٰ يصير الأمر إلىٰ أنه لا يتحرك متحرك في مجابهة الباطل، والله جل وعلا وسّع علينا فقال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التَّغابن:١٦].

إنك تنظر اليوم إلىٰ أن مجابهة دعوة الإسلام ليست محلية في بلد أو في منطقة أو في قطاع لأنها تخالف أهواء الأكثرين؛ بل إن حرب الدعوة من جهات متعددة بعضها كافر وبعضها منافق وبعضها من ضعاف الإيمان، الأعداء متكالبون علىٰ هٰذه الدعوة، والناس ربما ساعون في أن يبعدوا الناس عن الاقتناع بالحق والهدىٰ وعن الاقتراب منه من جهة تصرفاتهم التي لا يقرّها العلم الصحيح.

إذا نظرت إلىٰ هٰذا الواقع، فهناك تجارب كثيرة مرّت، وهناك خطوات كثيرة جرت في الدعوة والخير والإصلاح في هداية الناس وفي إلزامهم ونصحهم وإرشادهم.

يأخذ هٰذا شكل دعوات فردية، ويأخذ هٰذا تارة أخرىٰ شكل دعوات جماعية، ويأخذ تارة ثالثة شكل دعوات تنظيمية، والكل يُريد العلاج، الكل يريد الإصلاح؛ لأنّ الأصل في المسلمين الذين يدعون إلىٰ الله جل وعلا أن نياتهم صالحة إلا إذا ثبت غير ذلك.

فانظر إلىٰ هؤلاء بأصنافهم وإلىٰ هٰذه الاتجاهات المختلفة، وكل يحمل هٰذا الهمّ وهو أن يدعو إلىٰ الله وأن يصلحه.

والدعوة إلىٰ الله جل وعلا شأنها شأن أي عبادة، لابد أن تنضبط بضوابط الشرع، ولهٰذا نجد أنّ المسلمين الذين يسعون في البناء، يسعون في الدعوة والإصلاح نجد أنهم لا يصححون مساراتهم، خطوات ومرحليات الدعوة كما هي، بل ربما استفادت الدعوة في بعض الأوضاع فجعلت مرحلياتها وفقا لذلك التجدد في الأوضاع.

وهٰذا قصور؛ بل هو نوع من عدم معرفة سُنن الله جل وعلا الكونية والشرعية، نجد أن من الناس من يريد الإصلاح والدعوة علىٰ شكل فردي، وهؤلاء مشكورون ذلك أنهم رغبوا وأدوا بحسب ما بوسعهم.

ومنهم من يريد الدعوة ولكن لا يستطيع الدعوة بنفسه، وهٰذا لابد أن يكون داعيا مع غيره؛ لأنه ليس كل أحد يستطيع أن يؤثر بنفسه، لا من جهة الكلمة، ولا من جهة العمل ولا من جهة التفكير لما يصلح الناس، والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه، ولهٰذا قال الله جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران]، قال جل وعلا هنا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ وصفهم بأنهم أمة؛ بل أوجب أن يكون ثم أمة؛ لأن أثر الأمة في الدعوة والأمر والنهي أعظم بكثير من أثر الفرد.

ولهٰذا كان لزاما في الإصلاح لزاما في الدعوة أن يكون الجهد جهد متعاونين علىٰ الحق والهدىٰ، كما قال جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة:٢]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا**» بهٰذا كانت الدعوة الجماعية وهي النوع

الثاني كان من الضروريات؛ بل ينبغي لكل أحد يرعىٰ أمن الدعوة أن يعمل مع إخوانه؛ لأن الصلاح في هٰذا المجتمع والإصلاح لا يمكن أن يكون علىٰ ما ينبغي إلا بتعاون، والله جل وعلا أمر بذلك حيث قال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، وبهٰذا جاءت الأخبار الكثيرة أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاونون في دينهم ودنياهم.

والجهة الثالثة التي فيها البناء وفيها الدعوة والإصلاح **جهة العمل الجماعي التنظيمي**؛ يعني التنظيمات الدعوية المختلفة في الجماعات المختلفة، وهٰذه لاشك من جهة النظر الواسع لاشك أنها أثرت تأثيرات بأنواع وقطاعات مختلفة من المجتمعات الإسلامية، وهٰذه الدعوات التنظيمية من الغلط أن يُظن أن ما يَصلح في بلد يصلح في بلد آخر، وأن يُنقل كل شيء بحذافيره، وأيضا من الغلط أن يُظن أن الدعوة التنظيمية ينبغي أن تبقىٰ هكذا أبد الآبدين، أو حتىٰ تقوم دولة يرضىٰ عنها أولئك الذين يرومون العمل التنظيمي، لم؟ لأن هٰذا النوع من البناء فيما جربنا وعلمنا -يعني من جهة من ذكر ذلك ومن جهة تجربة المجتمعات- وُجد أنه يضيق بأصحابه يضيق بالعاملين، فالدعوة التنظيمية هٰذه أصحابها في الغالب يكونون منطوين غير متفتحين؛ يعني أنه لن يعمل إلا بما يكون مرتبا، ولن يتحرك إلا بما يكون منظما، ولهٰذا بل من البراهين علىٰ ذلك أنّ من الناس من ترك تلك الدعوات التنظيمية، ثم لما تركها عاد لم يعمل شيئا، ترك العمل وترك الدعوة إلا في محيط نفسه وأسرته ومن حوله؛ لأنه لم يتعود العمل إلا في إطار معين.

وهٰذا نوع من الأمور التي ينبغي علاجها؛ بل ينبغي النظر فيها من جديد، لهٰذا قال العلماء: إن فقه قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**تطاوعا ولا تختلفا وبشّرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا**» إن فقه هٰذا الحديث فيه أن التطاوع مطلوب، والتطاوع ينتج عن العمل الجماعي غير المنظّم، أما العمل الجماعي المنظم يعني التنظيمي فإنه -كما هو معروف وكما هو واقع- فيه الطاعة، والطاعة لا تنتج الإصلاح المطلوب؛ لأنّ النظر يكون محدودا، والتوجه يكون مقتطعا وليس بواسع، والمجتمعات اليوم لا تحتاج إلىٰ فئة معيَّنة تحمل شيئا معينا خاصا بها ويفرض علىٰ الناس؛ بل الذي يجب أن تؤخذ دعوة الإسلام إلىٰ الجميع، وأن يحمل المرء الدعوة كلَّ همِّه وحركاته فهو يحملها، إن وجد من يعينه أو لم يجد من يعينه.

لهٰذا نقول: إنه من البناء الصحيح الذي تتوجّه إليه الدعوة أن يكون هناك عمل فيه تعاون علىٰ البر والتقوىٰ، أما العمل الجماعي المنظّم فإنه إن كان علىٰ شكل تنظيمات وأُطر فالزمن يفرض أن لا يعمل فيه؛ بل ينبغي إن كنا نريد أن نستدرك الزمن أن نعمل عملا فيه التعاون علىٰ البر والتقوىٰ؛ ولكن العمل الجماعي المنظّم يعني بالتنظيم الذي فيه القيادة وفيه القاعدة وفيه المسؤول وفيه المتابعات الخاصة وفيه التقييمات الخاصة إلىٰ آخر ذلك، هٰذا ينبغي أن يذهب اليوم لمصالح كثيرة؛ ويبقىٰ العمل الجماعي الذي فيه نظام، وفرق بين النظام في الدعوة وبين التنظيم؛ لأنه ما من دعوة جماعية يرجىٰ لها أثر إلا ويكون بين أصحابها تطاوع وتشاور، وأن يكون هناك نظام يحكمها؛ ولكن ليس ثم طاعة وليس ثم

تنظيم؛ لأن الطاعة والتنظيم خاصة في دولة الإسلام وبلد الإسلام له مخاطر وعليه مآخذ، ومن جهة النظر في المصالح والمفاسد الدعوية يرىٰ من هو خارج تلك الأطر أن العمل التنظيمي الدعوي غير ناجح في المرحلة المقبلة، ومن كان في داخل إطار معين، قد يخالف في هٰذا؛ ولكن من كان خارج الشيء يرىٰ الصورة بكمالها إن كان من أهل العلم والإخلاص.

لهٰذا نقول: إن خطوات البناء والبعد عن الغثاء والغثائية في العمل، لابد أن تكون في المرحلة المقبلة بنظر عميق جديد، وهكذا يَفرض نفسه ولا نريد أن نتحدث بمثل هٰذا الحديث في غرف مغلقة ليس فيها إلا الخاصة؛ بل نتحدث بهٰذا حديثا عاما؛ لأن الحق لا مؤاخذة عليه في أي مكان قيل فيه، إذا كان منضبطا بضوابط الشرع.

همُّ البناء همٌّ عظيم، همّ الدعوة والإصلاح همّ عظيم.

كيف نصل إلىٰ أنسب طرق ذلك البناء وذلك الإصلاح وتلك الدعوة؟

لاشك أن هٰذا يتطلب رؤىٰ مختلفة، ويتطلب طرحًا جديدا لمرحلة دعوية مقبلة، ولابد أن يكون المخلصون والدعاة إلىٰ الله جل وعلا في دعوتهم أن يكون همّهم إرضاء الله جل وعلا، وأن يكون نظرهم وهم يدعون في نشر الإسلام، وفي نشر السّنة التي نعلمها من النصوص، سواء أرضي من رضي أم سخط من سخط؛ لأن الناس لن يتفقوا علىٰ شيء حتىٰ خاصة الخاصة لابد أن يختلفوا، ولكن النظر يجب أن نتوجه به إلىٰ أن تكون دعوتنا فيما نأتي وفيما نذر والتوجه بالبناء والبعد عن الغثائية يجب أن يكون متوجها بقصد إرضاء الله جل وعلا.

قد يكون من الناس من تختلط عنده الأمور لأجل عدم فقهه وعلمه فيقصد بالدعوة من دون شعور منه، يقصد إرضاء جهة معينة، أو رضاء فئة معينة، أو إرضاء مرجع معين أو نحو ذلك، فيما يأتي وفيما يذر، سواء في ذلك الجهات الرسمية أو الجهات الدعوية، هٰذا واجد، وهٰذا لاشك أنه من الغثاء الذي يسببه إزالته في الصعيدين جميعا، الواجب أن نتجرد بالنظر إلىٰ هٰذا الموضوع المهم، والنظر إلىٰ هٰذا المجتمع بل ،إلىٰ مجتمعات المسلمين وينظر إليها بأن فيها الفساد والشر يوما يعد يوم ونحن نبقىٰ ننتظر بعمومنا في غثائية عجيبة لا شك أن هٰذا لا يرضىٰ به غيور علىٰ دين الله.

والأمر عجيب عجيب ومن سمع وخالط وقيّم ما يتداوله الشباب أو يتداوله الناس وجب عدلا أن تقوم الأمور علىٰ هٰذا النحو من السعي في الإفساد والشر، وأن يبقىٰ الخاصة في أحاديث عجيبة وفي أقوال يرددونها ليست بسبيل إلىٰ رفع أو تخفيف ذلك المنكر وذلك الفهم.

البناء الذي ينبغي؛ بل يجب أن يكون همًّا لكل واحد منا:

أولا بناء النفس وإصلاح النفس وتزكيتها

الله جل وعلا أمر عباده بأن يُصلحوا أنفسهم، وأن يُصلحوا غيرهم، وأمرهم جل وعلا بل حثهم علىٰ

أن يزكوا النفس فقال جل وعلا ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾[الشَّمس]، لا يمكن أن تؤثِّر في الآخرين وأنت ما بينك وبين الله جل وعلا ليس بموصول أو ضعيف الصّلة، لن تستطيع أن تنطق بكلمة قوية فيها حق وفيها أمر بمعروف وفيها نهي عن منكر وأنت تتذكر نفسك وما أنت فيه من القصور وما أنت فيه من الموبقات؛ لأن اللسان يغرف من القلب، وإذا كان القلب من القلوب التي فيها مداد خير وفيها مداد باطل فإنك لن تقوىٰ علىٰ الدعوة والإصلاح.

لهٰذا قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كلام له: إذا رآك الشيطان مقيمًا علىٰ طاعة الله دائما فإنه لن يطمع فيك، وإذا رآك تارة وتارة فإنه يطمع.

وقال الحسن أيضا فيما صح عنه مخاطبا قراء البصرة: يا مِلْحَ الأرض لا تفسدوا.

يعني بكلمته الأولىٰ أن المتذبذبة في الطاعة يطمع فيه الشيطان، وكلٌّ منا يعرف هٰذا في نفسه، فإنه قد قال بعض السلف: إذا رأيت الرجل يعمل بالسيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيت الرجل يعمل بالحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإذن إصلاح النفس هٰذه هي الخصلة الأولىٰ.

وقوله: (يا ملح الأرض لا تفسدوا)، الفساد هنا الذي نهىٰ عنه ليس فسادا من جهة الأخلاق فحسب؛ ولكنه فساد بمعنىٰ أن لا يصلحوا لتبيين الدين، يا ملح الأرض؛ لأن الملح به يستطاب به الطعام ولا يستطيب الطعام بلا ملح إلا مريض، والملح به يستطاب الطعام، فكذلك الدين يستطاب بأهله، فإذا كان أهله لا يمثلونه؛ لا من جهة القدوة وصلاحهم في أنفسهم، ولا من جهة أنواع المعاملات وتعاملهم، فأين ومتىٰ يكون نقلهم للصلاح والخير.

تجد أن كثيرين من العامة؛ بل تجد أن كثيرين من النّقاد الذين ينقدون بعض الناس ينقدون الأفعال يقول: خذ هٰذا يزعم أنه مهتمّ بالسنة وانظر إلىٰ أفعاله كذا وكذا من الأخلاق التي ليست هي أخلاق أهل السنة وليست هي الأخلاق التي أمر بها في الكتاب والسنة. آخر يقول: خذ هٰذا المتدين فيه كذا وكذا من الأفعال.

فالناس تارة لهم حديث في أهل الخير من جهة تفريط الناس في أمور الخير.

وإذا نظرت في هٰذا الزمن وجدت أن الناس، وهٰذا من الأمور التي ليست بمرْضِيَّة؛ بل منكرة، لكن هكذا صار أهل الزمن يريدون من أهل الطاعة أن يكونوا أولياء يعني أن يكونوا مطيعين ليس فيهم نقص ولا معصية، فإذا عصوا جعل الناس يتكلمون بأهل الدين جميعا، أو في أن الدين نفسه فيه كذا وكذا.

فإذن حملك همّ الدعوة والإصلاح والخير يجب أن تنظر فيه إلىٰ أن حركاتك وسكناتك في هٰذا الزمن محسوبة من كل أحد.

فإن كنت من أهل الخير فحذارِ أن يُصدّ عن الدين بسبب فعل لك أو قول، والناس يسيئون بأهل الخير من أجل أفعالهم، أو تفعل فعلا في بيتك أو مع أقاربك أو مع رَحِمك أو مع الناس ولا تنظر إلىٰ أن هٰذا قد

يصدّ النظر في الإقبال علىٰ الدين ويصد عن التمسك بالهدىٰ؛ لأن هٰذا الزمن زمن الناس فيه يقيسون ويأمرون فالشيء القليل يقربهم والشيء القليل يبعدهم.

هٰذا البناء الذي نريده في بناء النفس في مجالات:

أولا في البناء العقدي؛ وهٰذا ينبغي أن يسلك؛ بل يجب أن يسلك الفرد فيه في بنائه لنفسه، وكذلك في بناء المتعاونين علىٰ الخير والهدىٰ والحق في بناء بعضهم بعضا البناء العقدي؛ لأنه بلا عقيدة فإن الفرد متداعي إلىٰ السقوط، ونعني العقيدة ما يُصلح القلب في أمور الاعتقاد؛ بل أمور الاعتقاد الواجبة كلها صلاح للقلب، فما يتعلق بتوحيد الربوبية والعلم به، وما يتبع ذلك من أنواع عبوديات القلب من التوكل علىٰ الله جل وعلا من التوكل علىٰ الله والتبرّي من الحول والقوة إلا به ﷻ، ومن عِظم العلم بالدار الأخرىٰ؛ لأن من تأمل في الربوبية علم يقينا بهداية القرآن أنه لا مناص له من أن يكون مطيعا مقبلا علىٰ ربه غير هارب منه جل وعلا.

من جهة توحيد العبادة وبناء القلب والعمل علىٰ توحيد الله جل وعلا توحيد الألوهية في العبادة وإخلاص الدين له، وأن تعمل العمل في إخلاص.

كلمة الإخلاص كثيرا ما تتردد وينصح الناس في الإخلاص والإخلاص؛ لكن هل كلن هناك تقييم فردي لكل من جهة نفسه من جهة الإخلاص، أو تقييم جماعي هل أولئك مخلصون أم لا؟ أظن أن الإخلاص عزيز وعسير، ولهٰذا لما قال أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث صاحب «السنن» وقدم كتابا من تصنيفه للإمام أحمد أو من جمعه فقال له الإمام أحمد: لم جمعت هٰذا؟ أو قال: لأي شيء جمعت هٰذا؟ فقال أبو داود وهو تلميذ الإمام أحمد قال: جمعته لله. قال: بالله عليك ولكن قل حُبب إلي شيء فعملته.

لأن الذي يعلم قيمة الإخلاص وعِظم أمر الإخلاص ومعناه كيف يحقق، إنما هم أهل العلم الخاصة؛ ولكن كثير من الذين يسلكون الدعوة يظنون أن كلمة الإخلاص كلمة معناها كما يتصورون، وتصورهم يكون ناقصا.

والإخلاص عزيز، لابد من إخلاص في التوجه والدعوة، وإذا أردنا البناء والبعد عن الغثاء فلابد من النظر في هٰذه الكلمة:

الإخلاص في الدعوة كيف يكون؟

لأن الله جل وعلا أعمرنا بإخلاص الدين له فقال جل وعلا: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزُّمر:٣]، وقال سبحانه ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾[الزُّمر]، ونحو ذلك من الآيات ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البيِّنة:٥]، ومن ذلك أمر الدعوة.

فمسألة توحيد الألوهية والعلم به ينبغي أن يكون بتاء الفرد راجعا إلىٰ إخلاص العبادة له، وكيف تكون العبادة مخلَصة؟ أحيانا ينظر بعضنا في عمل عمله فيكون معه ربما نصرة لخير يعلمه هو، لكن هو ما أراد

به إلا شيئا من أمر الدنيا، إما مال أو جاه أو سمعة أو التقرب من فلان أو فلان أو نحو ذلك، وهٰذا كيف تصلح الدعوة ليست مخلصة وليس أصحابها بمخلصين.

لابد أن يكون هناك لناء من جهة فردية ومن جهة جماعية للفرد علىٰ إخلاص الدين له، وعلىٰ أن يكون كل تصرف يتصرّفه المرء يريد به وجه الله جل جلاله، فإن كان ثم تسخير فالاستغفار والعلم بعظم المخالفة.

أيضا من جهة العلم بما يتصف الله جل وعلا به بأسمائه وصفاته والبناء العقدي المتكامل الذي يراد للفرد.

لم نقول هٰذا البناء؟ ولم نركز علىٰ هٰذه الأشياء؟ سيأتي تعليلها بعد ذكر عناصر بناء المسلم الذي نريده لكي يصلح وينقل ويدعو ويكون قاعدة عظيمة في بناء الدعوة الصحيحة.

العبادة ومعناها العظيم، بناء النفس، وبناء المسلم في فرد أو في جماعة متعاونة علىٰ البر والتقوىٰ بشروطها الشرعية علىٰ العبادة وعلىٰ التعبد لله جل جلاله، يذكر أهل السنة في عقائدهم كما في عقيدة أهل الحديث للصابوني المحدِّث الذي كان في القرن الخامس الهجري وكما في «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية: أن أهل السنة من خصائصهم أنهم يوصون بقيام الليل وبإتيان الفرائض والبعد عن المحرمات.

وأمور العبادة في الخاصة وفي الدعاة ما لم يكابدوا فيها فإنهم لن يصبروا علىٰ ما يرون، وستخلص تصرفاتهم إلىٰ غير ما ينبغي شرعا، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾[المزَّمِّل]، وقال فيها: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[المزَّمِّل]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾[المزَّمِّل]، فكان من سبب فرض قيام الليل في مكة أن قيام الليل في مكابدة عظيمة، ولم يدعو ويصبر علىٰ الجهاد وعلىٰ الدعوة، ويصبر علىٰ أمر الشرع ويتخلص من هواه إلا من كابد العبادة.

ونحن نرىٰ اليوم أن فيمن يرومون الدعوة ويسعون في ذلك من يفرّط في واجباته وتجده أحسن الناس كلاما، أين هٰذا من هٰذا؟

لابد أن ننظر إلىٰ بنائنا من جهة العبادة، بنائنا من جهة العبادة في أفرادنا وفي جماعة المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، من العجب أن يمضي أناس يظنون أنهم يصلحون بأحاديث عجيبة متناقضة غريبة، منها ما هو صواب، ومنها ما هو غلط، ومنها ما هو مخالف للشرع إلىٰ ساعة متأخرة من الليل ثم لا يتنفلون ولا هم يؤدون الفرض، هٰذا خلل في البناء، وإذا قام الخلل في البناء فإن مكابدة الدعوة أمر فيه خلل.

أيضا في الأخلاق بناء المسلم في الأخلاق: هناك تناقضات، وكثيرا ما أتاني من يقول: إن طلبة العلم يعني الشباب الذين يحضرون دروس العلم ويطلبون العلم، ليس عندهم أخلاق طيبة، ليسوا بأهل صلة في بيوتهم، في بيوتهم تجد فيهم الغلظة، ربما تجد الكذب، ربما تجد إخلاف الوعد، تجد أخلاقا كثيرة من سجايا المنافقين أو من شعب النفاق، أو من الأخلاق التي لا تجوز، تجدها في المنتسب للخير

والمنتسب للدعوة وبل طلبة العلم، ولاشك أنه مشاهد من عبوس الوجه ومن عدم تطبيق قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**» الإعانة علىٰ الخير تقف تعين، بذل الماعون وهو ما لا تحتاجه ويحتاجه غيرك، ومن البر وصِدق الحديث وصلة الأرحام والسعي علىٰ الأرملة والمسكين والسعي في حاجات الناس.

أخلاق كثيرة فقدها الناس ففقدوا جوانب كثيرة من الدعوة؛ قد نلقي خطبة أو نلقي محاضرة أو كلمة لكن لا تبلغ في النفوس مبلغ صنيعة من صنائع الخير؛ لأن صنائع الخير تتغلغل في النفس فتؤثر.

أيضا بناء المسلم في معرفة مراجعه الدينية: إذا أردنا البناء الصحيح فلابد أن ننظر إلىٰ المراجع الدينية التي يوجه إليها الداعية أو الشاب أو طالب العلم أو المسلم، إلىٰ أي مرجع يرجع؟ إذا إلتمّ عليه أمر وتخبطته الآراء وصارت الرؤية عنده فيما يريد أن يأتي أو يذر غير واضحة شرعا إلىٰ أي جهة يرجع؟

إن تحديد المرجعية هٰذه ضرورة من ضروريات قيام الدعوة، والتخبط في توجيه الشباب أو توجيه المهتمين بالدعوة والصلاح في تحديد المرجعية، هٰذا يجعل الرأي متخبط، ثم الفرقة تكثر؛ لأن المرء إذا كان عنده مرجع، والثاني عنده مرجع آخر، والثالث عنده مرجع ثالث، والعاشر عنده مرجع عاشر، والخمسون عنده مرجع رقمه خمسون، فإذن يكون بالتالي هناك فرقة في الساحة، وإذا كانت فرقة انشغل المتفرقون في ميدان واحد بأنفسهم؛ لأنهم يعانون من شيئا واحدا، فمن الطبيعي أن ينشغل بعضهم ببعض؛ لأنهم اختلفوا وهٰذا يريد شيئا وذاك يريد شيئا في نفس الموضوع، ولهٰذا يختلفون.

إنه من الأمور العظيمة الأهمية في البناء -بناء الدعوة- أن تُحدد المراجع الدينية، أن تحدّد المراجع التي يرجع إليها الداعية، يرجع إليها المسؤول، يرجع إليها كبير المجتمعين علىٰ الحق والهدىٰ، يرجع إليها الشاب، يرجع إليها الكبير الصغير، يرجع أولئك، هل يرجع إلىٰ ما ألفه؟ هل يرجع إلىٰ ما تربىٰ عليه؟ هل يرجع إلىٰ من أثر فيه؟ يرجع إلىٰ من؟ لابد أن يكون الجواب يقينيا، والجواب اليقيني في القرآن، ولن ينجو عبد إذا ذهب إلىٰ غيره ما أمر الله جل وعلا به، حين يُسأل العبد المسألة العظيمة ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾[الأعراف] من المرجع؟ قال الله جل وعلاّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) آية عظيمة يحفظها الجميع، لكن من جهة التطبيق، هل امتثل أمر الله أم لا؟ إن البناء الذي نريده للدعوة في السنوات المقبلة وفي العقود المقبلة، يجب أن يكون -إذا أرادنا البناء والبعد علىٰ التفرق والبعد عن الغثائية- بتحديد المرجعية الدينية، من الذين يرجع إليهم؟ إذا حددت الذين ترجع إليهم كفرد أنت أو كمجموعة، فإنه إذا اختلفتم فسترجعون إلىٰ من أمر الله جل وعلا بسؤاله واتباعه.

فإذن لن تكون قد حكّمت هواك أو سعيت في غير ما أمر به شرعا.

(١) سورة: النحل؛ الآية (٤٣)، الأنبياء؛ الآية (٧).

بهٰذا نقول: إن بناء المسلم في شخصه ينبغي أن يكون متوازنا علىٰ هٰذه الأربع.

[بناء المجتمعات]

الجهة الثانية في البناء الذي نريده بناء المجتمعات، وبناء المجتمعات أمره عسِر؛ لأن إصلاح الفاسد منها يتطلّب فقها في المجتمعات، وفقها في أمراضها، وفقها في الناس، ويتطلب أيضا فقها في الوسائل، وهٰذا يحتاج إلىٰ بحث طويل وكلمة خاصة.

لكن بناء المجتمعات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح كلٌّ يريده، كل عامل للدعوة يريد ذلك، لكن هل يكون ذلك بلا ضابط؟

إنما في المرحلة المقبلة ينبغي أن يكون ذلك بضابط أهل السنة والجماعة، وقد قالها علماء أهل السنة والجماعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال شيخ الإسلام في «الواسطية» في وصف أهل السنة: و هُم يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ. قال الشرّاح: قال: (عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)؛ لأن من الناس من يأمر وينهىٰ علىٰ ما يريد هو، ولا ينظرون إلىٰ الأمر والنهي، لهٰذا شيخ الإسلام في رسالته «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» أن من أمر بمعروف أو نهىٰ عن المنكر ولم يعلم حين أمر وحين نهىٰ أن مصلحة الأمر راجحة وأن مصلحة النهي راجحة فهو آثم. لم؟ لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، فإذا كان أمر وهو لا يعلم أن أمره راجح علىٰ ما دونه أو أن نهيه راجح علىٰ ما دونه، لا يكون قد أصلح علىٰ وفق ما تأمر به الشريعة، ولهٰذا قال شراح «الواسطية»: إن قوله: (عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ) فيه إخراج لطريقة الخوارج والمعتزلة؛ لأن الخوارج أمروا ونهوا لكن لا علىٰ ما توجبه الشريعة؛ بل علىٰ ما جعلوه لأنفسهم من الدين والعقيدة، وكذلك المعتزلة من أصولهم الخمسة: الأمر والنهي.

فإذن إصلاح المجتمعات وبناء المجتمعات بأن تُجعل هٰذه المجتمعات علىٰ وفق الشرع، وإذا قلنا مجتمع فنعني به الأرض والناس فيدخل في ذلك الدولة.

كيف تصلح هٰذا المجتمع؟ لابد أن يكون علىٰ وفق الشريعة، هل أنت مطالب شرعا أو الدعوة مطالبة شرعا بأن يكون الإصلاح في المجتمع سريعًا؟ ليس ذلك بشرعي، وليس له أصل في الشرع؛ بل الناس مطالبون بأن يكونوا متبعين لأمر الله في إصلاحهم وأمرهم ونهيهم وفي مجابهتهم للباطل وفي دعوتهم إلىٰ الحق والهدىٰ.

أنت مطالب بامتثال أمر الشرع، لم؟ لأن في الإصلاح هناك حكم تكليفي أنت مخاطَب به، والدعوة أو المجموعة مخاطَبة به، فإذا تعدَّت ذلك إلىٰ ما تريد أن تصل إليه أو أن يصل إليه المجتمع باجتهادها؛ بل الاجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، وإذا أخطأ الاجتهاد في مسألة المجتمعات كانت النتيجة مريرة، وقد تكون المسألة غير قابلة للاجتهاد؛ لأن فيها نصوص أو لا يكون من اجتهد فيها أهلا للاجتهاد فيها.

لهٰذا نقول: إن بناء من المجتمعات لا شك أنه مطلب، وبناؤها بالدعوة، واتخاذ جميع القنوات التي يمكن أن تتخذ بأن يوصل إلىٰ الناس ويرشدوا إلىٰ الحق والهدىٰ والصلاح. هٰذا يتطلَّب جهودا عظيمة.

الواقع الذي تراه أن الناس -أعني الخاصَّة- يتذمرون كثيرا من واقع المجتمعات، هٰذا المجتمع واقعه كذا، وهٰذا فيه كذا، حصل عندنا كذا، وينشغلون أياما وليالي عددا في ذكر ما استجد من أنواع الشرور في مجتمعاتهم؛ لكن لا يمضون أياما وليالي عددا في وسائل نشر الدعوة ووسائل الخير والهدىٰ، هٰذا مدخل من مداخل الشيطان وأحبولة من حبائله؛ لأن الدنيا والزمان يلد كل يوم عجيبة، أنت ستتابع كل ما يحدث ونصبح متحسرين كل يوم علىٰ ما حدث بالأمس، ليس هٰذا هو المطلوب شرعا، إنما المطلوب أن تعمل، وإذا حصل شيء أن تعلم ما حكمه، إذا كان جديدا، إذا كان من أنواع الشرور فتحذر ذلك وتحذر عنه.

لكن المهم العمل، لاشك أن إيقاع التبعة علىٰ الآخرين، والتذكر بأن هٰذا حصل وهٰذا حصل لذيذ، ونمضي أياما ونتكلم حصل كذا لذيذ، ولكن اعمل وأنت مهمتك كذا هٰذا صعب، والناس من أخلاقهم إلا من قواه الله جل وعلا أنهم يحبون أن يلقوا باللائمة علىٰ غيرهم، حصل كذا، العلماء فيهم كذا الولاة فيهم كذا، الدعاة فيهم كذا، هؤلاء هو ماذا أصلح، ماذا قدم للأمة، ماذا قدم للمسلمين، تجد أن هٰذا في حقه ضعيف أو لا يوجد.

إذن نحن بين بناءٍ يجب أن نسعىٰ فيه وما بين ظواهر غثائية أو ظواهر من الزبد يجب أن نتلافاها وكلّ عليه واجب، والمسألة عظيمة ولابد أن تنظر إليها بجد.

إذن بناء المجتمعات لاشك أنه مطلب؛ لكن نحتاج فيه إلىٰ أن نضبطه بالضوابط الشرعية، إذا أشكلت علينا الضوابط في أمور نظنها اجتهادية فنرجع إلىٰ المرجعية الدِّينية التي جاء الله جل وعلا مرجعية دينية وهم أهل العلم الراسخون فيه الذين علموا العلم وفقِهوا في دين الله في الكتاب والسنة وفي أقوال أهل العلم والسنة.

هناك هدف مرحلي في البناء فيما نريد من الدعوة، وهناك هدف بعيد:

أما الهدف المرحلي الذي نريده فهو: أن نحافظ علىٰ رأس المال، والمحافظة علىٰ رأس المال لابد منها، ولا أحد يقول: لا تحافظ علىٰ رأس مالك وَاسْعَ في الربح مع تعريض رأس المال للخسارة.

المحافظة علىٰ رأس المال مهمّة؛ لأن الله جل وعلا أمر نبيه في أن يستقيم هو ومن معه، وأمره بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال جل وعلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف] من سورة الكهف.

المحافظة علىٰ رأس المال أن نحافظ علىٰ الصالحين، لاشك أنه يحزننا أن نرىٰ صالحا ضَيّع صلاحه، الذي لو صبر لكان هو أعظم ما يحافظ عليه؛ لأن به سبب الدخول إلىٰ رحمة الله جل وعلا.

المحافظة علىٰ الشباب، المحافظة علىٰ الدعاة، المحافظة علىٰ ملح الأرض، كيف تكون هٰذه المحافظة؟ إنه لا طريق يُرتجىٰ إذا كان رأس المال يبدَّد أو يسعىٰ في تبديده، ولا يحافظ عليه إن إصلاح رأس المال أمر مطلوب؛ ولكن إصلاحٌ بلا تضييع.

وقد يكون كما قال الأدباء: إنّ من الحفاظ تضييع ومن النصح تقريع، (إن من الحفاظ) بعض الناس يريد أن يحافظ يحتفظ حتىٰ يكون ثمرة ذلك أن يضيع، ولهٰذا جاء في الحديث الذي في السنن: «**من ابتغىٰ الريبة في قوم أفسدهم**» الريبة إذا ابتغيتها في قوم قد تكون من جهة المحافظة عليهم، يمكن أن تفعل كذا أسئلة هي من جهة الريبة تريد أن تحافظ لكن ترجع إلىٰ إفسادهم.

كذلك من جهة فقه المحافظة علىٰ رأس المال، كيف نحافظ؟

قلنا هناك هدف مرحلي وهناك هدف بعيد.

الهدف المرحلي هو الذي يهمّنا الآن، وهو أن تكون المحافظة علىٰ رأس المال في أن نسعىٰ في إصلاحه، في إصلاح الأفراد وفي إصلاح الجماعات بما نريد من الإصلاح الذي دلَّت عليه النصوص وأقره الراسخون في العلم، وهٰذا الإصلاح يكون مع المحافظة، لاشك أنَّ كل واحد معرّض إلىٰ أن يكون مخطئا، معرّض إلىٰ أن يكون مفرّطا، معرّض إلىٰ أن يكون رأىٰ من وجهة نظر واحدة، لا من جهة نظر متسعة، قد يكون هناك أطر معينة عاشها هو فجعلته ينظر دائما من هٰذه الوجهة ولا ينظر من جهة أخرىٰ، وقد يستغرب من ينظر من الجهة الأخرىٰ؛ ولكن هٰذا النصح أو هٰذا الإصلاح في رأس المال يجب أن يكون في المحافظة عليه؛ لأن هؤلاء هم زينة الأرض، وإصلاح ما في بعضهم من المخالفة يجب أن تكون بطريقة لا تفسدهم؛ لأنه من النصح تقريع ومن المواجهة ما يؤول إلىٰ مقاطعة، وإذا تفرّق الناس تفرّق الخاصة وقعت الخصومة بينهم حتىٰ تصل بما يتدينون به إلىٰ أن يكون أعداء الأعداء هو هٰذه الفئة، وهٰذا حصل ونعوذ بالله جل وعلا من الشيطان ومن وسائله ومن طرائقه.

إذن في الهدف المرحلي لابد أن نسعىٰ في المحافظة كما ذكرنا؛ ولكنها محافظة مع الصبّر عليها ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ لابد من الصبر والمصابرة.

وهٰذا الصبر صبر علىٰ ما فيه من مخالفة الحق أو ما فيه من أمور ليست بحميدة، وإذا اختلفنا علىٰ هٰذا مرضي أو ليس بمرضي، عندنا المراجع؛ لابد أن ننظر إلىٰ مشاكلنا الدعوية التي نريد إذا تغلبنا عليها أن نجتمع في مواجهة هٰذا الفساد العظيم الذي يُنشر في الناس والبعد في عن الدين والديانة الآن الذي يكثر في الناس، لابد أن يكون عندنا سعة في النظر إلىٰ أعظم واجب وهو تعبيد الناس لله جل وعلا.

لاشك أنه من المحزن أن يكون هناك ظواهر نسميها ظواهر غثائية لا تخدم البناء وتضره، ولاشك أن ما يضر البناء أصحابه لا يعودون علىٰ الدعوة بخير وبصلاح.

وسائل المحافظة علىٰ رأس المال: قد يكون من الوسائل المتاحة الآن أنواع الاتصالات التي يأتيها بحث الأمور بوضوح، لم يعد شيئا خفيًّا فيما يتعلق بالدعوة والدعاة، قبل الأزمة كان هناك أمور كثيرة

خفية؛ لكن اليوم كثر الكلام وأصبح من له همّ في الدعوة ومن لا همّ له يعرف أشياء كانت مغيّبة.

هٰذا لابد أن نستفيد منه، وهو أن تبحث -يعني كيف نستفيد من هٰذا؟- بأن تبحث الأمور بوضوح، لا داعي للانغلاق اليوم، لابد أن ينفتح بعضنا علىٰ بعض، بحيث يناقش كل القضايا، نناقش جميع الأمور التي تهمنا، نناقشها، نسمع وجهة النظر الأخرىٰ ويكون الحكم فيها الأخير المرجعية العلمية الدينية التي أمر الله جل وعلا بالرجوع إليها.

التأطر كما يقال، أو أن نسعىٰ في أطر معينة لا نتعداها، وأن لا نحدِّث الآخر لأنه كذا وكذا، هٰذا يفقدنا البناء الداخلي والمحافظة علىٰ رأس المال، لأن الفرقة وقعت وإذا وقعت فلابد من الاختلاط الذي معه الإصلاح؛ إصلاح هٰذا الشَّعب الذي حصل، كيف يكون الإصلاح؟ بالمناقشة بالمحاورة بطرح جميع القضايا، ليس ثَم قضية الآن يمكن أن يقال: لا تناقش، نعم هناك بعض الدعوات عندها قضايا لم تطرح إلىٰ الآن؛ ولكن الخاصة يعلمونها، لابد من طرح جميع القضايا إذا كان ديدننا الحق، أما أن نفجأ بين حين وآخر بآراء، أو أن تكون آراؤنا حبيسة بأطر معينة لاشك أن هٰذا ليس من وسائل البناء.

وهٰذه كلمة ربما يفقهها من يفقهها ويسعىٰ في تحقيقها.

من الوسائل المهمَّة توسيع القاعدة، الملاحظ أنه منذ سنين قاعدة الصَّالحين أو قاعدة الملتزمين كما يقال أو قاعدة الشباب أو النساء الملتزمات صار الازدياد فيها محدودًا، لم؟ كانت قبل الأزمة الدعوة وكان اقتناع الناس وقربهم من أهل الخير والتزامهم وتمسكهم بالهدىٰ كان كثيرًا وعظيمًا، وفي كل سنة ازدياد الخير.

بعد ذلك جاءت عوائق مختلفة، عوائق من أنفسنا، وعوائق أخرىٰ موضوعة، بعض العوائق قد تكون عقوبة، وبعض العوائق قد تكون من جرّاء عدم النظر الصحيح فيها؛ لكن هل ننظر في هٰذه الأمور ونبقىٰ كما نحن بدون توسيع القاعدة، ما الدعوة؟ الدعوة هي أن تنتشر، وهٰذا الانتشار كيف يكون ما وسائله؟ لابد أن يطرح في مجالسكم، وأن ينظر في كل مجموعة، مجموعة عمل، مجموعة يعني أسرة معينة، في مسجد، لابد أن توسع القاعدة، هٰذا التوسيع للقاعدة ضروري، وهٰذا التوسيع للقاعدة يجب أن يكون مبنيًّا علىٰ أطر بعيدة عن الخلافات؛ لأن الأمور التي فيها الخلاف لا ندخل فيها من لم يعايشها، الأمور التي فيها الكلام العام وفيها الخلافات كانت لها أسباب ولها نتائج؛ لكن من لا يعي شيئا ولا يرىٰ هٰذه الخلافات يجب أن نبعده عنها؛ لأنها تشوش القلب وتشوش العبودية لله جل وعلا.

والقصد من الدعوة هو أن تعبِّد الناس لرب العالمين.

إذا كان المقصود أن تحذّرهم؛ يعني أن تقصد للدعوة أن تحذرهم عن فلان وفلان أو من الجهة الفلانية أو من الجهة تلك، فهٰذا باطل من القول وزور؛ لأن القصد من الدعوة أن تجعل من هٰذا المدعو صالحا متعبدا لله جل وعلا، تخلِّصه من هوىٰ نفسه وتكون قد أعظمت له المثوبة أو أعظمت له النعمة إذْ هديته لما به سعادته في الأخرىٰ.

ليس كل ما يعلم يقال كما يقول طائفة، ليس كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال يقال لكل الرجال، ولا ما يقال لبعض الرجال يقال في كل الأحوال، لابد، المسألة مرتبة.

فإذن توسيع القاعدة والدعوة هٰذا ضروري من الضروريات، لا ندخل الناس في خلافات الخاصة أو في المعلومات، ليس مسألة الغثاء في الدعوة والذب والمشاكل الموجودة، ليست هي المقصودة، وإنما هي هكذا حصلت فينبغي أن توضع بقدرها ولا يشغل الناس بها من أي جهة كانت، فأن تأتي إلىٰ رجل تدعوه أو امرأة تدعوها ويصبح الكلام في قيل وقال وأمور ليس من صميم الدين، هٰذه جناية علىٰ البناء الصحيح وجناية علىٰ الدعوة، وأثر من آثار التعصب لأشياء المرجو أن تزول وأن يأتي أصحابها ما يجب شرعا.

المستقبل كيف ننظر إليه؟ المستقبل ننظر إليه إلىٰ أنه لا امتداد أو لا توسُّع في الصلاح إلا ببناء القاعدة الصالحة القوية، المدن توسعت والمناطق كبرت والناس كثروا، من سيخاطب الناس وسيرشدهم ويدعوهم؟ لابد من توسيع القاعدة التي ستحمل الدعوة، وهل القاعدة في هٰذا البلد خاصة؛ يعني هل الدعوة في هٰذا البلد خاصة الذي ستنتشر فيه هٰذه القاعدة؟ أم أنه في هٰذا البلد وفي غيره أعني في المملكة العربية السعودية وفي غيرها؟ لاشك أنه فيه وفي غيره.

هٰذا يتطلب إلىٰ نشر كثير وتزكية قوية وتربية مرتبة، حتىٰ يمكن أن تحمل دعوة صحيحة بدون مفاسد إلىٰ الناس دعوة ينظر فيها إلىٰ المستقبل، ونقعد فيها عن أخطاء التي ارتكبت في ما مضىٰ من الدعوات وتجارب الماضي التي لم تنجح وربما يأتي التنبيه علىٰ بعضها.

هٰذا الكلام الذي أقوله ربما يمر من فوق بعض الرؤوس كما يقال، لكن لابد من الاهتمام به؛ لأن الواقع اليوم مرير وصعب، وكل مخلص أو كل من يرجو رِفعة هٰذا الدين يتعلم كل يوم مائة مرة، بما يرىٰ من هوان أهله وفُرقتهم وانشغال بعضهم في بعض، ولما يرىٰ من ضعفهم وبعدهم عن الانتشار والدعوة، لابد من علاج الأمور بوضوح، ولابد من الكلام بقدر ما يفهم المرشد أو بقدر ما ينظر إليه طالب العلم؛ لكن لابد أن نصل في دعوتنا وفي بنائنا المستقبلي ومشاكلنا إلىٰ حل واضح، والناس لم يعد عليهم شيء يخفىٰ؛ بل الأمور واضحة؛ بل يتسامعون ويتكلمون فيها فلابد من ضبطها علىٰ الملأ.

هناك ميادين للدعوة نعرض إليها باختصار:

أما الأول فهو العمل التربوي: يعني أن يكون البناء والدعوة من جهة التربية، ومن أصول الدَّاعين أنهم يسعون في تربية الناس.

لكن إذا نظرت اليوم وجدتَّ أن جهات المجتمع مختلفة وطبقاتهم مختلفة، كيف نخاطب الناس؟ هل نخاطبهم علىٰ وتيرة واحدة؟

منهم الموظفون، منهم المنشغل بوظيفته جل يومه وبأهله، منهم الأطباء، منهم المهندسون، منهم التجار، منهم العامَّة، منهم الشَّباب، منهم المثقفون، منهم الصَّحفيون، منهم الكتَّاب، منهم.. منهم إلىٰ فئات كثيرة من المجتمع.

لابد للعمل لهؤلاء، ولا يسوغ أن ننظر إلىٰ الدعوة بأنها تخاطِب جهة معيَّنة أو تخاطب فئة معينة، فنطلب من الجميع أن يكونوا طلاب علم، لا يمكن، نطلب من الجميع أن يهتموا بنوع معين أو بشيء معين من العلم الشرعي، أو بأمور الإسلام، وإذا لم يهتموا به فمعنىٰ أنهم كذا وكذا، هٰذا غير ممكن بل ينبغي أن ننطلق بالدعوة إلىٰ أن تناسب الجميع.

لكن لا ننسىٰ في الدعوة التربوية هناك أصول هٰذه يجب أن تحكم الجميع، وكل واحد يجب أن يعتقد المعتقد الحق وأن يأخذ بالأصول الثابتة؛ لكن هناك أشياء يختلف فيها الناس، قراءات مختلفة، قناعات معينة، أعمال مختلفة، وعمل يختلف من فلان إلىٰ آخر، هل نسعىٰ بالدعوة إلىٰ أن يكون المخاطب فيها شريحة معينة؟ هٰذا لا يناسب دعوة الإسلام؛ لأن دعوة الإسلام تخاطب الأمَّة جميعًا، والله جل وعلا وصف هٰذه الأمة بأنها خير أمة أُخرجت للناس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠]، قال أهل العلم معنىٰ قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت، فخير أمة أخرجت من الأمم للناس هي هٰذه الأمة، فهي تخاطب جميع الناس، دعوة لغير المسلمين، دعوة للمسلمين بأنواع شرائحهم، مخاطبة لجميع طبقات الناس، هٰذا يتطلب منا أن ننظر في الدعوة إلىٰ أفق واسع وإلىٰ ميادين متعدَّدة؛ لكن هناك أصول ثابتة في الدَّعوة، هناك أصول عقدية ثابتة، العقيدة أولا، التوحيد أولا، الجِماع علىٰ تحقيق القلب في عبوديته بالتوحيد لله جل وعلا هٰذا أصل من الأصول، ولم تقم الدعوة وتوسع الدعوة في القاعدة إلا علىٰ هٰذا الفهم، تحديد المرجعيات، العلم الواجب، أنواع الاهتمامات حد كل اهتمام كما سيأتي هٰذا لابد أن نضبطه، ولابد أن تخاطب جميع الشرائح.

العمل الثاني العمل الاجتماعي، وهٰذا ميادينه مختلفة من جهات قد يكون من قبل كل أسرة في محيطها، أو كل أهل بلد في محيطه وفي محيطهم أو غير ذلك.

هنا الاهتمامات السياسية، مطروق في الدعوات ومطروق في مجالس الناس والشباب اهتمامات سياسيَّة متنوِّعة.

الملاحظ في الاهتمامات السياسية الاهتمام بالسياسة تجاوز أن نقول: مهم أو غير مهم، فالناس يهتمون بطبعهم.

وقد قال بعضهم: إذا تكلم الناس في الرؤىٰ والأحلام أو في الجن أو في السياسة فلن يسكتوا. وهٰذا صحيح.

الاهتمامات السياسية عند الناس متنوعة، وعند الدعاة والشباب أيضا موجودة وتختلف ما بين الغلو فيها وما بين البعد عنها تمامًا، هناك من لا يهتمّ بالسياسة أصلا ولا بما يحدث، فإذا تكلمت معه عن شيء حدث ربما يعرف أن الشيء حدث بعد سنة أو سنتين أو أكثر، هٰذا واقع، لا يهتم بشيء من ذلك، هٰذا قصور في مخاطبة الناس، قد لا أهتم أنا أو لا يهتم الثاني والثالث؛ لكن من يواجه الناس بالدعوة

ينبغي أن يهتم.

لكن الاهتمام بالسياسة، هل هو اهتمام علىٰ ما ظهر أو هو اهتمام منضبط بأصول الشرع؛ لابد من أن نضبط كل شيء بالشرع، هناك غلو في بعض الاتجاهات في الاهتمامات السياسية، ترىٰ أن حديث من معهم في أكثر يومه في القضايا السياسية، في الحكَّام، في الولاة، فيما حصل، في السّلامة، في الخطوة هٰذه، في الخطوة تلك وهكذا، هل هٰذا يتقدم بالبناء ببناء الشخصية المسلمة؟ هل هٰذا يتقدم ببناء المجتمع أو ببناء المجموعة؟ كل شيء يؤخذ منه بقدره المأذون به شرعا.

وإذا نظرت إلىٰ ما كان في عهد الصحابة رضوان الله عليهم وجدت أن ثمة اهتمام بما كان يجري؛ لكن كان اهتمام لم يعد علىٰ أصل الدعوة بالانحراف؛ لأن الدعوة التي لا تهتم بما حولها لا تصلح للمجتمعات الحالية، والدعوة التي تغلق في هٰذا الأمر في السياسة أو لا تنضبط فيه بضابط الشرع، لاشك أنها لا تصلح للدعوة.

والذي تلاحظه أخي وألاحظه أنا ويلاحظه كل ناظر أن الشباب في مثل الاهتمامات السياسية عبارة عن نقلة، تجد أن منهم مثلا عشرة يجتمعون في مجلس وواحد منهم يلقي خبرا أو يحلل حادثة سياسية علىٰ نحو ما، تلاحظ بعد مدة التسعة الباقين يردّدون الخبر ولو كان غير دقيق، ويردّدون التحليل نفسه، من أين أتىٰ هٰذا؟ أتىٰ بأنه ليس ثَم وعي؛ يعني جُعل الاهتمام بالسياسة أو الاهتمام بالواقع أو الاهتمام بالأحوال جُعل تقية للتقليد، وكثير من الشباب بل الأكثرون في هٰذا المجال مقلدة؛ مقلدة من جهة نقل الخبر ومقلدة من جهة تحليله، منهم من يزيد علىٰ ذلك بأن يكون الخبر، إذا كان في صالح جهة ما فهو غير صحيح، وإذا كان في ضد جهة ما فهو صحيح، وهٰذا لاشك أنه ضعف ونزول في المستوىٰ الثقافي السياسي الذي إذا اهتمَّ الناس بالسياسة ينبغي أن يكون منضبطًا بما يجب شرعا.

فما الذي يجب في تلك الاهتمامات؟

أولا أن يكون الخبر متأكِّدًا من صحته، لا تنقل الخبر عن فلان وهو غير دقيق فيما يأتي، وإذا أردت أن تنقل ما قاله فلان، فلابد أن تتأكد أنت من مصدره، وإذا أتىٰ التحليل فلابد أيضا أن توازن أنت، تحلل بما أعطاك الله جل وعلا من العقل.

إن مصيبتنا اليوم في الدعوات التقليد، الشباب كثير منهم مقلدون، لا يفكرون، إذا نقد طائفة أخرىٰ جاء التقليد، إذا تكلموا في السياسة وفيما يتعلق بها أو في الأحوال أو في الواقع أو المنكرات تكلموا بالتقليد؛ ينقل بعضهم عن بعض، أين الفكر؟ أين العقل؟ أين بناء المرء بنفسه البناء الصحيح الذي به يقيد الأمور ويكون يحلل لنفسه أو رأيه؟ هٰذه الأمور ليست شرعية نقول: الإجتهاد فيها محصور علىٰ جهة معينة، هٰذه الجميع يخوضون فيها، فالتقليد فيها من عيوب العقل العجيبة، وإنك ترىٰ في بعض المجالس من يردد كلمة قيلت ربما قبله بدقائق، ينسىٰ أن الذي قالها فلان قبل ساعة من المجلس، ويقول: أنا سمعت كذا ويقال قبل قليل قيلت. هٰذه موجودة كتربية، حتىٰ في الناس يردد بعضهم كلام

بعض ويردد بعضهم تحليل بعض، إشاعات تأتي وهٰذا إذا كان مقبولا في صفوف العامة؛ لكن في صفوف البناء بناء الدعوة الصحيحة إنه غير محمود وغير مرضي.

الاهتمامات السياسية لابد فيها من الوسطية، وإذا كان أهل العلم وسموا أهل السنة والجماعة بأنهم وسط في الفرق المختلفة، ووسط بين هٰذا وهٰذا، بين الغالي والجافي، وسط في باب الصفات، ووسط في باب الإمامة، ووسط في باب القدر، ووسط في مسألة الأسماء والأحكام، ووسط ووسط، نقول: أيضا في هٰذه المسائل وسط، فإنهم لا يخلون أنفسهم من الاهتمام؛ ولكنهم لا يُغرقون في الاهتمام، وإذا اهتموا فليسوا بمقلدة، فإما أن يتحدثوا بعقلية ناضجة أو يتركوا؛ لأنه من العيب في العقل أن تكون مقلدا في مسألة يشترك في معرفتها وتحليلها الجميع.

يضيق الوقت عن بعض الأشياء التي كانت في الذِّهن.

لكن ننتقل إلىٰ خاتمة.

وهٰذه الخاتمة شِقّ ثاني لهٰذه المحاضرة، نعرج فيها لبعض المظاهر تزيد من الزَّبد، وتزيد من ظهور الغثاء، وإذا كان المفسِّرون واللغويون قالوا لنا: إن الغثاء والزبد أشياء تراها متفرِّقة كثيرة وظاهرة بيّنة لك؛ لكنها وإن كانت تظهر للعين أو تأخذ بالعين من جهة النظر؛ لكن لا قيمة لها؛ لكن أيضا تحتاج إلىٰ إزالة إذا أردت أن تستفيد من ماء فيه زبد وفيه غثاء فلابد أن تزيل ما علق به من الشوائب.

ولهٰذا نقول: لابد أن ننظر إلىٰ هٰذه المظاهر.

أول مظهر من تلك المظاهر:

النظر إلى الأمور من جهة واحدة

كيف يكون ذلك؟ من طبيعة بعضهم أن يكون يرىٰ همّ الدعوة أو يرىٰ الإصلاح من جهة واحدة فقط، ذهنه تربىٰ عليها، أو أكثر من السماع في هٰذا الموضوع، فيرىٰ أن الإصلاح في هٰذه الجهة فقط دون غيرها، وهٰذا من نتائج الضَّعف والتقليد، الضعف في البناء والتقليد؛ لأن هٰذه المجتمعات اليوم وهٰذه الأمور المشتبكة المتخالفة ننظر فيها إلىٰ الأمور من جهات متعدِّدة، فالذي ينظر إلىٰ الأحوال من جهة واحدة لابد أن يخطئ.

أسباب النظر من جهة واحدة قد يكون من أسباب ذلك:

أن يكون المرء عاش مع من يملي عليه هٰذا الفهم، فينظر إلىٰ الأمور بهٰذا الفهم سنين وهو لا يسمع إلا هٰذا التصور، مع مجموعة من الشباب أو يخالط مجموعة يرددون هٰذا التصور حتىٰ أصبح بعد مرور سنين عنده حقيقة لا تقبل النقاش، هٰذه النتيجة أن يكون في إطار واحد.

وهٰذا خلل في البناء، ومظهر من المظاهر التي ينبغي علاجها من مظاهر الزبد.

لاشك أن الدعوة التي يمارسها هؤلاء مطلوبة لما هم عليه من الخير لا يجحد؛ لكن الذي يكون فيه النظر من جهة واحدة ويحكم علىٰ الأمور من جهة واحدة؛ بل ويلزم الناس بهٰذا النظر لاشك أن هٰذا غير

مرضي؛ لأن جهات الأمور مختلفة، والله جل وعلا أمرنا بأن نزن بالقسطاس المستقيم.

من مظاهر الزبد ومن المظاهر التي تزيد من الغُثائية:

الاستعجال

الدعوة لا تقاس أعمارها بالسنين، والإصلاح والدعوة لا يقال: كم مضىٰ من سنة؟ ذكرتُ لكم كم مكث نوح عليه السلام من سنة ألف سنة إلا خمسين عاما، النتيجة ما آمن معه إلا قليل، محمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مكث ثلاث عشرة سنة في مكة ومكث عشر سنين بعد الهجرة، وكان حصيلته في الدعوة في عشر سنين أعظم من ثلاث عشرة سنة؛ بل وكانت أعظم وأعظم وأعظم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾[الفتح]، جاءته الجموع والوفود مسلمة.

أول الرسل نتيجة دعوته قليل، قال بعض المفسرين: كانوا اثني عشرة ما بين رجل وامرأة، وأكثر ما قيل أنهم بضعة وسبعون.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ محمد مكث ثلاث وعشرين سنة ولكن كانت النتيجة أعظم من ذلك بكثير كانت النتيجة أعظم وأعظم وأعظم.

هٰذه القيمة أن النظر في الدعوة إلىٰ ما يجب لا إلىٰ النتيجة.

ولهٰذا من المآخذ علىٰ الدعوات المعاصرة الاستعجال.

جاء بعض الصحابة إلىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وهو في مِنَىٰ فقالوا: له يا رسول الله إن شئت لنميلنَّ علىٰ أهل منىٰ بأسيافنا. قال: «**لم نؤمر بعد**» ثم جاء الإذن ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[الحجُّ]، ثم جهاد ثم الجهاد العام، وهكذا في مراحل.

الدعوة -دعوتنا- يجب أن تكون علىٰ ما أمر اللهُ جل وعلا به من جهة دعوة الناس وتبصيرهم والانتشار في ذلك؛ لكن أن نستعجل نريد أن نقيم الإسلام بسرعة، نريد أن لا يكون ثم منكر، هٰذا مستحيل، نريد أن لا يكون ثم شيء إلا علىٰ ما نريد، أو علىٰ وفق أمر الله جل وعلا نعمل هكذا ونعمل هكذا ثم يصبح الأمر كاملا، هٰذا مستحيل، إلا إن شاء الله.

لكن بما نعلم من السنن وبهٰذه الظروف الحالية لابد من الصبر علىٰ الدعوة.

والاستعجال له صور كثيرة متعددة تختلف ما بين بلد إلىٰ آخر.

فمن عوائق البناء الاستعجال، من عوائق البناء أن يتحمس المتحمس الداعي أو الشاب ثم ينقض ما في نفسه بتصرف أو بقول أو بفعل، ثم تكون النتيجة ضده وضد مجموعته بل وضد الإسلام وضد الدعوة، هٰذه من مظاهر الاستعجال ويمارسها بعضنا في كل يوم في دعوته للأفراد وغضبه لنفسه أو استعجاله لتحصيل النتائج.

من تلك المظاهر التي تزيد من الغثائية:

التعصُّب

والشباب اليوم الدعاة والمصلحون يعيب بعضُهم التعصب للمذاهب الفقهية الذين ينتمي أصحابها إلىٰ أئمة، مذهب أبي حنيفة، مذهب الشافعي، مذهب مالك، مذهب أحمد، والإمام أحمد والشافعي ومالك وبقية أئمة الإسلام هؤلاء أئمة في الإسلام، ومع ذلك من يتعصب لأقوالهم يعيبونه، ويعيبون المقلد؛ لكننا نرىٰ تعصُّبًا لأقوال بعضهم لبعض تعصبا، تعصبا لأفكار بعضهم لبعض، فكيف يتفق هٰذا مع هٰذا؟

نرىٰ تقليدا، نرىٰ تعصُّبًا علىٰ مصرعيه، بحيث إنه لا يقبل كلمة حق إلا إذا جاءت ممن يرضاه واعجبا، كيف قال يهودي لأحد صحابة رسول الله ﷺ: إنكم تنددون. وفي بعض الروايات: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تنددون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فأبلغ الصحابي رسول الله ﷺ في ذلك وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ «**قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**»، يهودي عاب علىٰ المسلمين في عهد النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كلمة يقولونها، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ما رفض هٰذا القول؛ لأنهم يهود بل قال: «**قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**»، قال إمام هٰذه الدعوة وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مسائل «كتاب التوحيد» لما ساق هٰذا الحديث قال: فيه فهم الإنسان إذا كان له هوىٰ، الذي له هوىٰ في شيء، يريد أن ينفذ شيء، له هوىٰ في ذلك، يحتد ذهنه حتىٰ يخرج شيئا، لكن الجهة المنقودة: هل تتعصب لنفسها وتقول لا أقبل الحق إلا من جهتي؟ لاشك أن هٰذا من غير الشريعة؛ بل الشريعة جاءت بقبول الحق ممن جاء به.

ونحن نرىٰ اليوم أن الجهات المتعددة التي تعمل للإسلام، ويدعون علىٰ اختلاف ما بينها، وعلىٰ قُربهم وبعدهم من السنة، نجد أنهم لا يأخذون بهٰذا التوجيه.

فالذي هو من الفئة الأخرىٰ وضد ذلك لا يقبل منه صرفا ولا عدلا، لا يقبل منه كلمة، لا يقبل منه نقد؛ بل إذا نقد قدح، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ما قدح في اليهودي؛ بل قبل ما قاله، وقال: «**قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**» فيه -كما قال شيخ الإسلام- فهم الإنسان إذا كان له هوىٰ، نريد أن نأخذ من هٰذه ظاهرة صحية عندنا في البناء الدعوي بأن النقد الموجه بين الدعوات وبين الفئات أو بين الأشخاص أن نتجاوز التعصب للفرد، أن نتجاوز التعصب للداعية، أن نتجاوز التعصب للعالم، أن نتجاوز التعصب للدعوة وللفئة وللجماعة، أن نتجاوز ذلك إلىٰ ما هو أعلىٰ وأهم ألا وهو التعصب للحق، نبحث عن الحق الله جل وعلا أعطانا عقولا وأعطانا مبادئ، والبناء إذا كان فيه التعصب وعدم الانفتاحية والانغلاقية الموجودة الآن فإنه لن يكون بناء الدعوة بناء صحيحا؛ بل لابد أن نفتح الأمور وأن نقبل النقد ممن جاء به، إذا كان صحيحًا ونناقش بقنوات مفتوحة علىٰ أوسع مجال، من جميع الجهات؛ لأن هٰذا فيه صلاح وإصلاح، والنظر والمناظرة والمحاجة والمجادلة بالتي هي أحسن كلها لها أصولها الشرعية المعلومة.

من المظاهر:

طلب الكمال

من المظاهر التي تزيد في الغثائية طلب الكمال في الأشخاص، أو طلب الكمال في الدعوات، أو طلب الكمال في أنواع التربية.

مثلا أن لا يقتنع بأحد أو لا يرضىٰ بفعل ولو كان في نفسه خيرا ومصلحة شرعية، لا يرضىٰ به إلا إذا كان كاملا لا نقص فيه.

وهٰذا غلط بل النقص يسدد ويكمل، إذا كان ثم نقص نرضىٰ بأصل العمل، بشرط أن يكون أصل العمل علىٰ وفق طريقة السلف الصالح، أن لا يكون عملا بدعيًّا، ألا يكون عملا مخرجا من أهل السنة، أن يكون العمل في أصله صحيحًا، فإذا كان العمل في أصله صحيحا فإن طلب الكمال في العمل دعوي غير واقعي؛ بل لابد أن يكون ثم وثم من الثغرات.

الذي ينبغي أن نتكامل؛ بمعنىٰ أن ينصح بعضنا بعضا، وأن نفرح بالنقص، فيه من العيب أو النقص كذا في دعوتك كذا وكذا أن ندرس هٰذه الأمور، فما كان فيها من حق نزيله، وأن لا نربي أنفسنا وشبابنا علىٰ التعصب وعلىٰ البعد عن قبول غير ما نقتنع به، لاشك أن الإيمان يتبعَّض وكذلك أمور الإيمان تتبعض، ومن دعاكم إلىٰ خير فأجيبوه، والله جل وعلا قال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[المائدة:٢]، ولهٰذا ترىٰ من طريقة الراسخين في العلم في هٰذه البلاد أنهم يسدّدون النقص إذا كان موجودا، وإذا كان أحد دعاهم إلىٰ بلد وطلب منهم محاضرة أو طلب منهم لقاء أو نحو ذلك ورأوا عليه بعض النقص يفاتحهم ويقول لهم كذا وكذا وكذا، أما أن يتصور واحدا منا أنه لا دعوة إلا علىٰ وجه الكمال أو نقبل دعوة مطلقة، هٰذا ينتج عنه أن نقبل بتسلُّط أهل الباطل، أن نقبل بانتشار الفساد؛ لأنه إما هٰذا أو ذاك، أو نخلص إلىٰ ما يجب وهو أن من كان مصيبًا في شيء نصوبه فيه ومن كان مخطئا في شيء ننصحه عليه حتىٰ يتخلص من أنواع الشرور أو أنواع الخطأ في دعوته وفي أسلوبه أو في آرائه ونكون أكثر واقعية في عملنا الدعوي.

طلب الكمال في الأشخاص، طلب الكمال في المجموعات، طلب الكمال فيما تراه، هٰذا غير واقعي؛ ولكن الأمر: نوازن فيما يأتي وفيما يذر يوازن في تقييمه للأمور بما يراه من أحوال ومجتمعات، وإذا كان الناس قريبين إلىٰ الحق والهدىٰ أو كانوا أعظم اتِّصالا بالسنة وبالتوحيد وهم علىٰ خير، ما كان فيهم من نقص فإنه يسدَّد.

هناك بعض الأمور أخرىٰ لكن نرجئها إلىٰ لقاء آخر.

هٰذا وأسأل الله جل وعلا أن يبصِّرني وإياكم، وأن يجعلنا من الدعاة إلىٰ دينه، وأن لا يجعلنا ممن يتخلَّفون عن الدعوة بأسباب موهومة، وأن يجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

اللّٰهمَّ أصلح قلوبنا، اللّٰهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، اللّٰهمَّ أصلح قلوب أحبابنا وقلوب ذرارينا، وأصلح قلوب أقاربنا، وأصلح قلوب المسلمين.

اللّٰهمَّ وفق ولاة أمر المسلمين إلىٰ الأخذ بالدَّعوة إلىٰ دينك علىٰ ما تحب وترضىٰ.

اللّٰهمَّ وألّف بين قلوب المسلمين واجعلهم متعاونين علىٰ بالبر والتقوىٰ.

اللّٰهمَّ نسألك أن تعيذنا من مضلات الفتن، وأن تعيذنا من الفساد، وأن تعيذنا من المنكر، وأن تعيذنا من كل ما لا ترضاه، اللّٰهمَّ أعذنا وأعذ أحبابنا وأعذ من دعا لنا، وأعذ جميع المسلمين.

اللّٰهمَّ احفظ مجتمعنا من كل سوء، اللّٰهمَّ من أرادنا أو أرد بالمسلمين بسوء في ديننا أو في أعراضنا أو في أخلاقنا أو في أي أمر من أمورنا، اللّٰهمَّ فأشغله بنفسه، اللّٰهمَّ لا تجعل لهم طريقا علينا.

اللّٰهمَّ أبرم لهٰذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويعافىٰ فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (١):....؟

الجواب: الفرق ذُكر وهو:

أن الدعوة **التنظيميّة** فيها طاعة وتنظيم.

أمّا الدعوة **الجماعية** ففيها تتطاوع ليس فيها طاعة. معناه أنه يجب أن يطاع فلان؛ لأن الطاعة في الشرع في أصناف وليس منهم هٰذا، فالدعوة الجماعية فيها تطاوع وفيها نظام، ولكن ليس فيها طاعة وتنظيم.

والفرق بين هٰذا وهٰذا ظاهر، فإذن التطاوع غير الطاعة، والنظام والترتيب والتنسيق غير التنظيم الذي له حلقاته وله تسلسله.

سؤال (٢):...؟

الجواب: الله جل وعلا أمر بالرجوع إلىٰ أهل الذكر قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] وأهل الذكر هم أهل الكتاب والسنة.

ومن المتقرّر في الأصول في مباحث الفتوىٰ والمستفتي أن المرء يجعل أوثق الناس عنده، يسأل في دينه وما أشكل عليه أوثق الناس عنده، وتبرأ ذمته إذا كان هٰذا الذي سأله متحققا بالعلم، ولم يسأله عن جهة هوىٰ أو تعصب له دون غيره، تبرأ ذمته.

وهؤلاء العلماء الذين تبرأ بسؤالهم الذمة الراسخون في العلم لأن الله جل وعلا وصف الراسخين في العلم بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧]، ونصوص الشرع من الكتاب والسنة فيها محكم ومنها متشابه، والمحكم والمتشابه موجودان في القرآن، وموجودان في السنة.

من الذي يفصل هٰذا من ذاك؟ من الذي يرجع المتشابه إلىٰ المحكم ويعلم معاني الأدلة ويفهم

---

(١) سورة: النحل؛ الآية (٤٣)، الأنبياء؛ الآية (٧).

القواعد؟ إنما هم الرَّاسخون في العلم لأن الله جل وعلا قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧]، كما هو أحد وجهي الوقف عند السلف الراسخون في العلم يعلمون التأويل وإذا كانوا كذلك وهم الذين يسألون عما يشكل عن المسائل والمصالح المهمة.

من هو الراسخ في العلم؟

هو الذي رسخت علومه بحيث تحقّق بشهادة الناس له، أنه عالم حق، وأنه قد استوعب فهم نصوص الكتاب والسنة، فهٰذا هو الذي يسأل، والمسألة تحتاج إلىٰ تجرد وإلا فالعلماء الراسخون معروفون مشار إليهم.

سؤال (٣): لماذا ننشغل ببعضنا ونوزع الكتب والمنشورات في اتهام الدعاة بظنون غريبة وعجيبة، وننسىٰ من يمكرون بالدين وأهله والمعاصي الكبرىٰ عند الناس، والحكم بغير ما أنزل الله، وفقكم الله؟

الجواب:هو لمثل هٰذا السؤال وأسئلة مشابهة جاءت هٰذه المحاضرة.

المشكلة أننا ما فهمنا بعدُ طريقة أهل السنة والجماعة، لو نظرت إلىٰ تاريخ أهل السنة والجماعة وتاريخ أئمة الإسلام لوجدت كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية قال: المعتزلة كفَوا الأمة الردَّ علىٰ الدُّهريين -يعني الدُّهريين- الدهريين بضم الدال، كفوا الأمة الرد علىٰ الدُّهريين وعلىٰ اليهود والنصارىٰ. لأن المعتزلة أكثر من ردّ علىٰ الفئات الإلحادية وأهل الملل. قال: والأشاعرة كفوا أهل السنة تفاصيل الرد علىٰ المعتزلة، وأهل السنة ردوا علىٰ الأشاعرة.

فالمسألة متصل ببعضها ببعض، فإذا نظرت في جهاد أئمة الإسلام، هٰذه القاعدة التي ذكرها كيف يذكر كذا وكذا وينسىٰ من يمكرون بالدين وأهله أو أين هم من اليهود والنصارىٰ أو نحو ذلك، لو طبقت علىٰ طريقة أئمة الإسلام لوجدت أن فيها اتهام للأئمة الإسلام، لم؟

لأنك ترىٰ أنّ أكثر أئمة الحديث وأكثر أئمة السنة حين يردون وحين ينكرون هم علىٰ أهل البدع؛ لكن أهل الملل لا يردون عليهم، وإنما وجهوا جهودهم في الرد علىٰ من انتسب إلىٰ السنة وهو ليس من أهل السنة حقيقة، من أهل البدع من الأشاعرة ومن الصوفية أو نحو ذلك.

فإذن هٰذا التقعيد الذي ذكره غير صحيح، ونريد كما ذكرت في المحاضرة أن يتسع بالنا، فهٰذا الذي نشر ما نشر فيه نقد لمن نقد، لا يكون تعصبنا لفلان أو للفئة الفلانية أو للجماعة الفلانية أعظم من الحق.

فأنت تنظر إلىٰ هٰذا الذي نشر ربما فيه حق، ونسي هٰذا النسيان الذي قاله نسي أهل المعاصي هٰذا تفريط منه، لاشك أن الواجب أن ينكر المنكر علىٰ أهله، وأن ينقد من أتىٰ بغير الدين، أو أن يواجه من لم يكن علىٰ الشريعة ومن لم يستقم علىٰ أمر الله من أي فئة كانت.

فإذا أتىٰ ببعضه ولم يأت ببعضه فقد أتىٰ بواجب وترك واجبا، وهٰذه مسألة صارت في الزمن الأخير نُظِر إليها بغير نظر الشرع فيقال: فعل كذا وترك كذا.

وهل يلزم في نصوص الشرع، وفي أصول الشريعة، وفي مباحث التكليف من الأصول، هل يلزم أن من

أتىٰ بأمر من أمور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يأتي بالأمر الآخر لا يلزم هٰذا في الشرع.

لكن أحيانا يكون ضيق في الأفق؛ يعني بهٰذه التصرفات يحصل مثل هٰذه الأحكام.

نريد أن يتسع بالنا لكل نقد، يتسع بالنا لكل فكرة، يتسع بالنا لما بيننا من أمور، حتىٰ نصل إلىٰ مداخلات فيها تحقيق الصحيح والبناء الدعوي الذي يبعد عن انشغال بعضنا ببعض.

لو أخذنا ببعض ما ذكرنا من طريقة البناء وأصوله ونحو ذلك والبعد عن الغثائية لصارت مشاكلنا فيما بيننا ولصرنا يدا واحدة في مقاومة إبليس وجنده.

سؤال (٤): لماذا ينكر بعض طلبة العلم عن بعض الجماعات الإسلامية التي لولها لما حافظ كثير من المسلمين علىٰ هويته في غالب أقطار الدنيا؟

الجواب: أولا ملاحظة قوله: (الجماعات الإسلامية التي لولاها لما حافظ كثير من المسلمين) هٰذا فيه لفظ شركي؛ لأن قوله: **(لولاها لما)** هٰذا فيه نسبة نعمة الهداية إلىٰ الجماعات، وهٰذا من باب إنكار النعم، والله جل وعلا قال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النَّحل:٨٣]، والذي يأخذ بالقلوب هو الله جل وعلا ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الإسراء:٩٧] وقال جل وعلا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام:١٢٥]، فلو أراد الله جل وعلا هداية أحد هداه من دون جماعة ولا جماعات، ولو أراد إضلاله لما نفعته جماعات ولو اجتمعت جميعا علىٰ ذلك.

إنما هي أسباب الجماعات تلك أسباب نفع الله جل وعلا ببعضها في بعض الأمور التي عالجوها؛ لكن هل يعني أنهم نفعوا في بعض المجالات أن لا يوجه إليهم الكلمة البتة، هٰذا ضيق في الأفق وضيق في النظر إلىٰ العمل الإسلامي وضيق في النظر إلىٰ الدعوة، أصابوا في بعض وأخطؤوا في بعض، أصابوا بعضا قليلا وأخطؤوا بعضا كثيرا، وبعضهم أصابوا بعضا كثيرا وأخطؤوا بعضا قليلا، وهكذا، الناس يتنوعون؛ لكن إما أن يكون أو لا يكون، إما أن نرضىٰ علىٰ الجميع وأن يكونوا أئمة أو لا يكون شيئا البتة؟ ليس كذلك.

ونحن في هٰذه البلاد أنعم الله جل وعلا علينا بدعوة وهي دعوة الإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وربىٰ العملاء بعدها الناس علىٰ هٰذه الدعوة، وأخلصوا قلوبهم لله جل وعلا، وربما منهم من حط منازله في الجنة ونحن نتناقش في أمور فيها البعد عن تلك الدعوة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هٰذه الدعوة لو كانت في هٰذه البلاد، لو تُبنيت كما يقال أو اتصل بها في هٰذه البلاد منذ وفدت الجماعات الإسلامية إلىٰ هٰذه البلاد لو تبنيت لاختصرنا ثلاثين -فيما أحسب- ثلاثين سنة من الزمان؛ لكن جاءت دعوات غريبة لم يعرفها أهل هٰذا البلد مخالفة للدعوة التي في هٰذه البلاد، ونبتت ثم رُبِّي عليها بقلة، وهكذا تتوسّع تتوسع حتىٰ يرىٰ أن تقبل مع أن هٰذه البلاد فيها دعوة حق قامت فيها وأصلحت وأنتجت، لماذا أُنصرف عنها إلىٰ دعوات أخرىٰ؟

السؤال موجه لمن صرفوا الناس أو أنشؤوا جماعات أخرىٰ.

سؤال (٥): ...؟

الجواب: الواقعية في المخاطبة وفي الحديث تجعلنا نتكلم في جهتين:

الجهة الأولىٰ: جهة ما ينفع المخاطَب والمستمع.

والجهة الثانية: في علاج بعض مشاكل المجتمع أو المنكرات أو الفساد أو الشرور، يكون مردها إلىٰ الكلام مع المسؤولين أو ولاة الأمر كل فيما يخصه.

من غير المناسب ولا الواقعي أن نخاطب ولاة الأمور أو المسؤولين من المسجد؛ لأنه يمكن أن يصلهم أهل العلم ويقولوا: ما عندهم، فيأمرون وينهون فإن قبلوا فالحمد لله وإن لم يقبلوا، فيكون الناصح أو الآمر والناهي قد أبرأ ذمته.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «**من رأىٰ من أميره شيئا يكرهه فليصبر**» فلا يُتوقَّع من أن يكون من الأمير أو من الوالي في أي بلد كان في أي زمن كان، ما يسر الجميع أو يسر أهل الدين والخير دائما إلا ما كان في وقت الخلافة الراشدة.

لهٰذا ينبغي النظر في ذلك من جهة مخاطبة كلٍّ بما هو مجاله، فنحن هنا مجالنا الدعوة فردية أو دعوة في مجموعة والإصلاح، وما يخصّ الجهات الأخرىٰ فيخاطبون به.

ما ذكره من أنّ الإصلاح أو الدعوة قد ينطلق به البعض والأمر والنهي من دون ضوابط، هٰذا صحيح، وهٰذا في كل مجال قد ينطلق لما يراه من دون ضابط؛ لكن نحن واجبنا أن نضع الضوابط وننبه، وطالب الحق يسعىٰ، طالب الحق الذي يريد يسعىٰ يتحرىٰ الحق بنفسه ويبحث، أما أن نظل علىٰ أحوالنا نكرر نكرر والسنون تمضي ولا علاج جيد فإنّ هٰذا لا يُرضىٰ عنه.

سؤال (٦):...؟

الجواب: أنا ذكرت ذلك الاستدلال، وهو صحيح في نفسه؛ لأن الأمر في مكة لم يكن مناسبا لمجاهدة المشركين فيها، ولهٰذا قال أهل العلم: إن الجهاد يحتاج إلىٰ تمايز الصفوف، صف وصف، تتمايز الصفوف فيكون هناك جهاد واضح، وتدرج المراحل وآخره مقاتلة الجميع -جميع من لا يؤمن بالله واليوم الآخر-؛ ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[التَّوبة:٣٦]، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[التَّوبة:٢٩]، ونحو ذلك هٰذا أمر ماضٍ.

هل الجهاد بالسيف هو الأصل؟ أم الجهاد باللسان هو الأصل؟ هٰذا خلاف بين أهل العلم.

وتحرير المسألة وبيان مثل هٰذا وهٰذا له وقت آخر إن شاء الله تعالىٰ؛ لكن ما ذكرت لا يعني مقاتلة الجميع لأني عنيت بما استشهدت به مسألة عدم الاستعجال، وهٰذا ظاهر في حديث آخر حيث قال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لأحد الصحابة الذي شكا له ما يلقاه المسلمون من المشركون من شدة قال: «**والله**

ليتمن الله هٰذا الأمر» إلىٰ أن قال: «**ولكنكم قوم تستعجلون**»، فالنهي عن العجلة كان في مكة ظاهر؛ لأن المسألة والوقت غير مناسب، الذي يأتي ويضع الأمور في غير مواضعها ولا يفقه في القواعد الشرعية فإن هٰذا يخطئ ويظلم من حيث أراد الخير والإصلاح.

لهٰذا قال أهل العلم: إن مجاهدة المشركين والكفار هو واجبة مع القدرة، أما مع عدم القدرة فإنها لا تجب قال جل وعلا: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةً﴾[التَّوبة:١٢٣]، وهٰذا مع القدرة يعني مع الاستطاعة أما مع عدم القدرة وعدم الاستطاعة فإن هٰذا لا يجب؛ بل ربما كان في بعض الأحوال لا يجوز لكون مفاسده أكثر من مصالحه، والذي يعرف المصالح من المفاسد أهل العلم.

سؤال (٧):...؟

الجواب: هٰذا يحتاج إلىٰ تأمل، ما أدري إيش يعني بكلامه هٰذا، وما هي سياسة الكفار التي يعنيها، ولعل أدق من يعرف كلامه تليمذه الخاص سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله.

سؤال (٨):...؟

الجواب: هٰذا ما ذكرته؛ يعني ما يحدث من قتل ونحو ذلك واستباحة هٰذا ما ذكرته في كلامي، إلا إشارة لكن عنيت بالواقع المرير واقع إبعاد الناس عن دينهم، أنت تلحظ بين كل سنة وسنة فيه غزو عظيم لإبعاد حبّ التدين من النفوس، تارة من جهة الشبهات، تارة من جهة الشهوات، جهة المال، جهة فتنة النساء، هٰذا له قنواته وميادينه الكثيرة.

فهٰذا الأمر هٰذا الواقع لاشك أن علاجه واجب علىٰ الجميع، وأن مجابهته واجب علىٰ الجميع، واجب علىٰ الناس كل بما يخصه، وواجب علىٰ ولاة الأمور كل فيما يخصه، فالله جل وعلا سائل كل أحد عن ما استرعاه عليه، وهٰذا يَعُمّ مسؤولية البيت أو الأسرة ويعمّ المسؤولية الصغيرة ويعم المسؤولية العظيمة.

سؤال (٩): ...؟

الجواب: هٰذا مثل ذكرت سؤال وجواب؛ لكن من حيث إدخال التلفاز إلىٰ المنزل كما هو معلوم أن الأصل فيه المنع؛ لأن هٰذا الجهاز يكون فيه عرض أشياء محرمة كثيرة، والأكثر فيه محرم، وما فيه مما ينفع قليل، وتعريض البنات المراهقات والشباب أو نحو ذلك إلىٰ مثل هٰذه الفتن لاشك أنه مصيبة.

لكن بعض أرباب البيوت قد يُحرج واقعيا وقد أدخله فعلا، هنا فالواجب عليه؟ الواجب عليه أن يتخلص منه أصلا، وإذا لم يتمكن من ذلك فيدرأ الشر بأقل ما يمكن، يكون ما يحصل أقل ما يمكن يعني يرىٰ مثل هٰذا الجهاز الأطفال الذين لم يبلغوا سن التكليف، فإن بلغوا سن التكليف يجتهد أن لا يروه لأنهم إن رأوه ففيه من المفاسد ما قد تحرفه.

بعض الآباء أو بعض المسؤولين عن البيوت يُهمل جدا في بيته بل يزيد عن التلفاز الدشوش هٰذه والقنوات الخارجية مما فيه إفساد غالب؛ يعني غالبا ما تفسد البنت أو تفسد المرأة كبيرة أو صغيرة

وتفسد الرجل والشاب، بعضهم هو يرغب أن يرىٰ، ويحتج بحاجة أهله والله جل وعلا قال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[النُّور:٣٠]، واللقاء عند الله جل وعلا وملاقاة الله جل وعلا كائنة وقادمة، وسيسأل الجميع والله ﷻ يغفر للمسلمين.

نسأله أن يعفو عنا، وأن يتسامح، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يقي كل المسلمين الشرور والآثام، والله المستعان.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.